

كورونا والجَنّ

شعر: الدكتور حجر أحمد آل بوطامي البنعلي

مناسبة القصيدة:

مع بداية اليوم الأول للعام الجديد (٢٠٢٠) انتشر خبر ظهور فيروس جديد من أصل حيواني، مسبباً مرضاً تنفسياً حاداً في ووهان - الصين. ثم تبين أنه من فصيلة كورونا التي سببت من قبل (سارس وملازمة الشرق الأوسط التنفسية). أطلقت منظمة الصحة العالمية على الفيروس الجديد اسم سارس-كوف-٢ (SARS-CoV-2) وسمي مرضه كوفيد-١٩ (COVID-19).

انتشر المرض حول العالم، ولم يُعرف له علاج أو تطعيم، مسبباً جائحة عالمية؛ إذ من خواصه سرعة الانتشار، واستمرار مدة الحضانة المعدية نحو أسبوعين دون أعراض ظاهرة. امتد المرض في البداية إلى الدول الآسيوية المجاورة للصين، مثل سنغفورة وكوريا الجنوبية ووصل إيران يوم ١٩ فبراير ٢٠٢٠. بدأت قطر في مراقبة القادمين من الصين في المطار بأجهزة قياس حرارة الجسم في نهاية يناير ٢٠٢٠. واكتشفت أول حالة للفيروس لقطري راجع من إيران في ٢٨/٢/٢٠٢٠. أما الدول الأوروبية والولايات المتحدة فلم تأخذ انتشار الفيروس بجدية، فأصابها بشدة. تعود الشاعر منذ أن كان طالباً في الولايات المتحدة الأمريكية أن يسجل بعض الأحداث التاريخية المهمة التي تمر عليه أو على أمته في أبيات شعرية للذكرى. وأدرك الآن أن وباء كورونا هذا سيلاحقنا، وسنتحدث عنه، وعن تجربتنا وما عانيناه لعدة سنوات قادمة، فقرر أن يسجل ويوثق ما مر علينا في قصيدة قصيرة خوفاً أن ننساه. ولكن بسبب انعزاله وتفرغه في البيت لتجنب الفيروس، صارت القصيدة أطول مما شاء. وقد تعمد أن يدخل الجَنّي في القصيدة للمحاورة بغرض التسلية وإبراز ما عثر عليه من أفكار سومرية وبابلية، سجلت منذ آلاف السنين عن دور الجن في التسبب بالأمراض للإنسان، ثم انتقلت بعض تلك الأفكار الخرافية إلى العرب فتوارثتها عنهم، ولما يزال بعض كبار السن من العرب والمسلمين مقتنعاً بها.

بفيروسِ (الكرونا) قد بُلينا وقد عمَّ البلاء العالمينا
فأغلقنا مجالسنا وصرنا أسارى حائرين بما بلينا
رهينُ الحبسِ في بيتي حزينا بلا صحبٍ أظُلُّ به رهينا

جَلستُ بمنزلي ليلاً وحيداً أصوغُ الشعرَ في الظلما سَجينا
فأغرى الشعرُ في الظلماءِ خلاً رأى الأعشى وكلَّ الجاهلينا
كبيرَ الجنِّ يأتيني فيشدو وكان يزورني حيناً وحيناً
فقلتُ مُرحباً بصديقِ شعيرٍ ألا أهلاً أميرَ الشاعرينا
سُعدتُ بوصلكم من بعدِ هجرٍ من الإنسِ الصحابِ الخائفينا
إذا أنشدتَ فُقتَ الإنسَ شعراً بليغاً فوقَ وصفِ الواصفينا

ألا قل لي أليس السحر فيكم؟ أليس وبأؤنا من سحر جن؟
أصدق يا بن عبقر ما روه فقال مسميًا بالله بدءًا
طبيب القلب قد خبت ظني وقالوا الجن تدخل في أناس
نحن المجرمون بغير جرم؟ فما في الجن شيطان لعين
أساطير أتكم من قرون كويتم جلد محموم بنار
فلو عرف الأوتل علم طب خلقتنا قادرين على التخفي
وفينا مثلكم خير وشر فدعني يا طبيب القلب أنثي
ودعني كي أصوغ الشعر مدحا طبيب الشعر والشعراء طرا
وفيت العهد تبذل كل جهد تفتد من أحب ومات عشقا
وتعرف داءه، فالشعر أفضى وإتك إذ تميل إلى قلوب
كأتك كلما خفت قلوب أراك مطببا بالحب حبا
حكيمًا عالمًا فذا أمينًا ومثلك كل من للطب أدى
إذا الفيروس أمعن في مريض أرى الآسين للإنسان ذخرا
حماة الدار من داء مميت إذا اشتد الوباء على بلاد
أستم تكهون المسلمينا؟^٢ كما كان الأوتل مخبرينا^٣
بأن الجن قد جلبت (كرونا)^٤ ولم يظهر لسانا أو عيونا:
أسمع ما يقول جاهلونا؟ فتمرضهم وتكسبهم جنونا
أما آن الأوتل لتنصفونا؟ ولا سحر، ولسنا مفسدينا^٥
غدت يا صاح للجهال دينا فكيف يصح حرق المسلمينا؟
لما هلكوا بأدواء قرونا^٦ فنأبى للخلائق أن نبينا^٧
كما قد شاء رب العالمينا على فضل اختيارك لي قرينا
أقول الحق في ابن الأكرمينا تعالج بالقرىض العاشقينا
لإنقاذ، وتأسو البائسينا وتنفى عن حجا قيس جنونا^٨
بأن القلب قد عانى الشجونا فإن القلب يسمعك الأنينا
وجدت وحيها لحنا حزينا^٩ محبا صادقا حبا دينا^{١٠}
وفيا آسيا طببا رزينا^{١١} لإخلاص وإحسان يمينا^{١٢}
فمن غير الطبيب له معيننا؟ إذا الأدوية ثفني الآدمينا
يأذن الله كانوا المنقذينا فلا جيشا تأمل أو حصونا

فيا ابنَ الإنسِ أنشدني مديحًا بأهلِ الجنِّ، كنتُ لكَ المعينا

فقلتُ غداً سأشُدو الجنَّ مدحي قوافي الشعرِ تغمزني بوصولِ
ألا فاسمع نثيدي يا ابنَ جنِّ ألا فاسمع نثيدي يا ابنَ جنِّ
سمِعنا أنَّ في (واهان) داءً سمِعنا أنَّ في (واهان) داءً
بَكَت حَسَناءُ في (واهان) لَمَّا بَكَت حَسَناءُ في (واهان) لَمَّا
فأَحَبَّرها وقد أَضنته حُمى فأَحَبَّرها وقد أَضنته حُمى
وأَفشى للحبيبة ما ابتلاه وأَفشى للحبيبة ما ابتلاه
فبانَ بوجهها شَجَنٌ وحُسْنٌ فبانَ بوجهها شَجَنٌ وحُسْنٌ
فأهلُ الصينِ باعَتهُم وباءٌ فأهلُ الصينِ باعَتهُم وباءٌ
مِن الخُفَّاشِ فيروسٍ أتاهم مِن الخُفَّاشِ فيروسٍ أتاهم
فهذا ما يُظنُّ وليسَ علمًا فهذا ما يُظنُّ وليسَ علمًا
وأهلُ الصينِ قد أكلوا الأفاعي وأهلُ الصينِ قد أكلوا الأفاعي
فما عَفَّوا عن الحياتِ نَهْشًا فما عَفَّوا عن الحياتِ نَهْشًا
بِلاَدِ الصينِ تصنعُ كُلَّ فَنٍّ بِلاَدِ الصينِ تصنعُ كُلَّ فَنٍّ
فهل صَنعت كُرونا دُونَ قَصدٍ؟ فهل صَنعت كُرونا دُونَ قَصدٍ؟
وقيلَ بأنَّها ابتكرتُه عمداً وقيلَ بأنَّها ابتكرتُه عمداً
سَمِعنا القولَ هذا مِن عِداها سَمِعنا القولَ هذا مِن عِداها
سرى الفيروسُ مِن دارٍ لدارٍ سرى الفيروسُ مِن دارٍ لدارٍ
(وكوريا) ودارَ الفُرسِ يَغزو (وكوريا) ودارَ الفُرسِ يَغزو
شعوبُ العُربِ تحتَ الظلمِ عانت شعوبُ العُربِ تحتَ الظلمِ عانت

وقد سَلِمَت ديارِي منه لَمَّا وقد سَلِمَت ديارِي منه لَمَّا
ولم نُغلقِ مَطارَ الدوحِ بدءًا ولم نُغلقِ مَطارَ الدوحِ بدءًا
نُساعدُ كلَّ مَن آوى إلينا نُساعدُ كلَّ مَن آوى إلينا
ففي قَطرٍ نُطِيبُ كلَّ فَرِدٍ فففي قَطرٍ نُطِيبُ كلَّ فَرِدٍ
خُدعنا في البداية إذ نَجونا خُدعنا في البداية إذ نَجونا

فَتَحْنَا الْبَابَ لِلزَّوَارِ جَوًّا
وَكَانَ الْفَحْصُ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ
سَبَقْنَا مُعْظَمَ الْبُلْدَانِ فَحْصًا
غَفَلْنَا عَنْ وِبَاءِ بِلَادِ كِسْرَى
وَوَظَنَّا الْفَرْسَ أَنَّ الدَّاءَ سَهْلٌ
فَقَدْ فَتَكَ الْوَبَاءُ بِهِمْ بَعْضَ
أَتَانَا مِنْ بِلَادِ الْفَرْسِ جَوًّا
فَمَا دَخَلُوا بِأَعْرَاضِ وَحْمَى
وَمَا أَعَدَى مِنَ الْجِيرَانِ بَرًّا
سَأَشْكُرُهُمْ لِمَا أَسَدُوا إِلَيْنَا
أَمَا كَانَ الْحِصَارُ لَنَا مُجْبِرًا
فَمَاذَا نَبْتَغِي مِنْ حُبِّ جَارٍ
رَضِينَا بِالْحِصَارِ لِرَدِّ دَاءٍ
رَجَوْنَا اللَّهَ يُنَجِّنَا جَمِيعًا

سَلِ الطَّلِيَانَ كَيْفَ أَتَى عَلَيْهِمْ
و(لَنْدُنْ) لَيْلَهَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ
غَرِيبٌ أَمْرُكُمْ سَاسَاتِ غَرِيبٍ
بَنَيْتُمْ لِلدَّمَارِ سِلَاحَ فَتْكِ
وَمَا حَفِظْتُمْ دِيَارَكُمْ عُهُودًا
وَلَمْ تَبْنُوا لِهَذَا الْيَوْمِ نُحْرًا
تَرَكْتُمْ لِلْوَبَاءِ دُرُوبَ غَزْوٍ
وَمَا عَمِيتْ عِيُونُكُمْ لَجَهْلٍ
أَهَانَ الدَّاءُ كُلَّ الْغَرِيبِ ذُلًّا
وَمَا نَحْنُ الَّذِينَ ظَنَنْتُمْوْنَا
فَكَمْ مِنْ بَلَدَةٍ فِيهَا قَلِيلٌ

فَسَارُوا فِي (السَّكِيكِ) مُلْتَمِّينَا؟
كَمَا (نِيُو يُورِكْ) فِيهَا النَّاسِكِرُونَا؟^{٢٦}
عَلَى التَّدْمِيرِ أَنْتُمْ قَادِرُونَا
فَأَمْسَى الصَّيْنُ مَنْقَذَكُمْ مَعِينَا^{٢٧}
وَلَا احْتَرَمْتَ حَلِيفًا مَا حَيِينَا
فَصِرْتُمْ تَائِهِينَ وَعَاجِزِينَا
لِمَاذَا كُنْتُمْ مُسْتَسْلِمِينَا؟
وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ بِكُمْ عَمِينَا
وَيَأْبَى الشَّرْقُ تَسْلِيمًا مُهِينَا
قَلِيلًا إِنْ نَعُدَّ فَتَحْقِرُونَا
بِفَضْلِ الْعِلْمِ كَانُوا الْأَكْثَرِينَا

أَبَى الْفَيْرُوسُ إِلَّا أَنْ يُرِينَا
بَسَّالَتَهُ وَيَأْبَى أَنْ يَبِينَا

خَزَاكَ اللهُ فَيُرَوِّسَا لَعِينَا
تُغَيِّرُ عَلَى الدُّنَا مِنْ كُلِّ صَوْبٍ
لَقَدْ فَرَّقَتْ كُلَّ الصَّحْبِ عَنِّي
فَقَدْ طَالَ الْفِرَاقُ وَطَالَ شَوْقِي
تُفَرِّقُ جَمْعَنَا خَوْفًا وَرُعْبًا
وَأَقْفَرَتِ الشُّوَارِعَ مِنْ أَنَاسٍ
وَأَغْلَقَتِ الْمَسَاجِدَ فِي رُبَانَا

أَتَيْتَ إِلَى الْخَلِيجِ لَتَبْتَلِينَا
تُبِيدُ الْيَوْمَ أَمْرِيكَ وَصِينَا^{٢٨}
أَحْنُ إِلَى لِقَائِهِمْ حِينَا
إِلَى الْأَصْحَابِ صَحْبِي أَجْمَعِينَا
وَحَوَّلَتْ الْبُيُوتَ لَنَا سُجُونَا
وَكَانُوا قَبْلَ ذَا مُتْرَاحِمِينَا
فَلَمْ تَتْرُكْ لَنَا دُنْيَا وَدِينَا

جَلَسْنَا فِي الْبُيُوتِ وَمَا خَرَجْنَا
وَشَهْرُ الصَّوْمِ شَرَّفَ فِي هَدْوِي
سَيَجْلِسُ فِي الْبُيُوتِ كَمَا جَلَسْنَا
إِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ جُمُوعُ قَوْمِي
فُرَادَى فِي الصَّلَاةِ وَكَانَ قَوْمِي
إِذَا سُمِحَ الْخُرُوجُ غَدًا لِعِيدٍ
فَكَيْفَ أُرِدُّ كَفًّا أَوْ سَلَامًا
بَأَيْدِينَا نُصَافِحُ مَنْ أَتَانَا
وَصِرْنَا لَا نَصَافِحُ مَنْ لَقِينَا
تَرَكَنَا الضَّمَّ وَالتَّقْبِيلَ وَعَدًّا
فَلَا تَعْتَبْ إِذَا لِقَاكَ خِلًّا

كَأْنَا فِي سُجُونِ قَاطِنُونَا
كَرِيمٌ قَادِمٌ لِلْأَكْرَمِينَا
تَقَرُّ بِهِ عَيُونُ الصَّائِمِينَا
بِهَذَا الشَّهْرِ أُسْبَلَتْ الْجُفُونَا^{٢٩}
مَتَى صَلُّوا يُصَلُّوا أَجْمَعِينَا
أَنْحَذِرُ مِنْ أَكْفِ الْآخِرِينَا؟
إِذَا جَاءَ الصَّحَابُ مُسَلِّمِينَا؟
نَشَانَا هَكَذَا مُتَصَافِحِينَا
وَلَا خَدًّا نَقْبَلُ أَوْ جَبِينَا
وَعَيْدُ الدَّاءِ أَرْغَمَ أَنْ نَكُونَا
بِبِسْمَتِهِ وَلَمْ يَمُدُّ يَمِينَا

سَمِعْتُمْ عَنْ (كُرُونَا) مِنْ كَثِيرٍ
تَجَنَّبْتُ الْهَجَاءَ طَوَالَ عُمْرِي
حَقِيرٌ صَاحِبَ الْحَيَاتِ دَهْرًا
إِذَا دَخَلَ الدِّيَارَ أَبَادَ خَلْقًا
وَأَهْوَنُ لِلصَّغَارِ إِذَا أَتَاهُمْ
وَقَدْ يُخْصِي الذُّكُورَ إِذَا ابْتَلَاهُمْ
وَمَا هُوَ كَائِنٌ حَيٌّ نَرَاهُ
فَلَا تَسْمَعُ لِدَجَالٍ كَذُوبٍ
يَقُولُ: الثُّومُ أَوْ بَصَلٌ قَلِيلٌ

فَشِعْرِي الْيَوْمَ يُخْبِرُكُمْ يَقِينَا
وَأَهْجُو الْيَوْمَ مِنْ حَنْقِ (كُرُونَا)^{٣٠}
وَفِي الْوَطْوَاطِ كَانَ بِهِ قَطِينَا
كُهُولًا أَوْ شَيْوَحًا طَاعِينَا
فَمَا أَفْنَى الْبِنَاتِ وَلَا الْبِنِينَا^{٣١}
فَلَنْ تَلِدَ النِّسَاءُ لَهُمْ جَنِينَا^{٣٢}
وَلَكِنْ صِغْرُهُ قَهَرَ الْعَيُونَا
وَلَا تُصْبِحْ لِكَذِبَتِهِ مُعِينَا
يُزِيلُ الدَّاءَ يَشْفِي الْمُسْلِمِينَا

وعدّوا الحبة السوداء علاجًا
وكم من وصفةٍ وُصفت لداءٍ
أنتزك أحدث الأبحاث طبًا
فلا تُؤمّ بهذا الداءِ يُجدي
ملنا من خرافاتٍ ومين
لأدواء الخلاقِ أجمعينا^{٣٣}
فلم تنجّع، وعجّلت المنونا
ونقبّل ما رواه الأؤلونا
ولا الأبصالُ تُجدي في (كرونا)
سنيًا من غباءِ الجاهلينا^{٣٤}

ألا يا قوم حياؤا الآسينا
فإنا معشر الآسين جند
حبانا الله طبًا وابتكارًا
إذا اشتدّ الوباءُ على ديارِ
إذا ما الداءُ أعيَا من بلاءِ
وما دخر (الكرونا) بالتمني
قلنا للوقاية في هُدوءِ
فكأحنا ولم يُعرف دواءُ
علومِ الطبِ تنهض كلَّ يومِ
رؤيدك يا عدو الناسِ طرًا
أطبأ الديارِ لقد أعدوا
أطبأ الديارِ الباسلينا
بأمرِ الله ربِّ العالمينا
وأرشدنا فكنا المرشدينَا
فحنُّ بدحره عنها غنينا
تعاونًا نُعالجُ، ما عينا
سننصبُ باللقاح له كمينَا
مقراتِ التجمّعِ أجمعينا
(لُكورونا)، يُداوي ما ابثلينا^{٣٥}
بأدويةٍ، فلسنا جازعينا
فلسنا عن قتالكِ عاجزينا
لهذا الداءِ إعدادًا حصينا

أطلنا يا ابنَ عبقْرٍ ما نسجنا
ألا قد آن يا ابنِ الإنسِ صمتي
جزاك الله يا ابنَ الجنِّ خيرًا
نسجنا للورى عقداً ثمينَا
وصمتك رحمةً بالسامعينا
أجدتِ فكنت لي عونًا مُعينا

دعوتُ الله يشمنا بعطفٍ
ويجمع في الخليج قلوبَ أهلِ
وقى الله الديارَ ومن رعاها
وينجينا جميعًا من (كرونا)
على حُبِّ، ويُخزي الكاشحينَا^{٣٦}
وأبقى شعبها فيها مصونا

١٠ مايو ٢٠٢٠

الشرح:

١. تقول روايات العرب أن كل شاعر من شعراء الجاهلية كان له قرين جني يلقنه الشعر. وكان جني الأعشى اسمه مسحل.
٢. أفتى مفتي المملكة العربية السعودية الشيخ ابن باز: " قد يقع السحر بين الناس وهو في الغالب يكون بعمل من شياطين الإنس الذين يتلقونه عن الجن".
٣. وجهة النظر بعض الفقهاء وعلماء المسلمين، أن الوباء "بلاء من الله" بسبب فساد العباد وظلم الحكام. وكتب ابن حجر العسقلاني، المتوفى في القاهرة عام ١٤٤٨، والذي توفيت ثلاث من بناته بالوباء (الطاعون) مؤلفاً عنه بعنوان "بذل الماعون في فضل الطاعون"، لا يشير فيه إلى العدوى وإنما إلى كون المرض "وخز من الجن".
٤. عبقر: مَوْضِعٌ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ كَانَ الْعَرَبُ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ مَوْضِعُ الْجِنِّ وَمَسْكَنُهُمْ وَيُنْسَبُونَ إِلَيْهِ كُلُّ عَجِيبٍ وَعَمَلٍ خَارِقٍ جَيِّدٍ. فوادي عبقر هو وادي يقع في نجد وهو وادٍ سحيق، وإذا قيل فلان (عبقري) فهو نسبة إلى وادي عبقر. تقول الروايات أن هذا الوادي تسكنه شعراء الجن.
٥. يقول علماء المسلمين: الجنّ صنّفان، فلا يقال لمؤمن الجن: شيطان، وإنما يقال ذلك لكافرهم.
٦. أدواء: جمع داء.
٧. الجرائم يقصد بها الجرائم من بكتيريا وفيروسات.
٨. قيس: قيس بن الملوح الذي كتب الشاعر عنه كتاب (مجنون ليلى بين الطب والأدب).
٩. وجيف القلب: خفقانه.
١٠. الحب: المحب والمحبيب.
١١. الآسي: الطبيب. الطّب: الحاذق الماهر الحكيم.
١٢. يمين القسم للطبيب عند التخرج ويسمى أيضًا يمين بقراط.
١٣. واهان: مدينة في الصين، تلفظ "ووهان"، استنقلها الشاعر فعر بها لواهان. أول إصابة معلنة رسميًا بكورونا كانت فيها في ٨-١٢-٢٠١٩، ولكن أول إصابة في العالم تكرت فيما بعد كانت في مدينة فوشان الصينية في ١٦-١١-٢٠١٩ ولكن لم تعلن الصين عنها آنذاك.
١٤. الولهان: العاشق.
١٥. أضنى: أرهق وأتعب.
١٦. أسبلت العيون: دمعت
١٧. الخُقَاش: حيوانٌ تُدَيِّي، قادرٌ على الطَّيران ليلاً.
١٨. الوطوط: حيوان من فصيلة الخفاشيات.
١٩. اتهامات متبادلة بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية في صناعة فيروس SARS-CoV-2 المسبب لوباء كورونا المعروف طبيًا بمرض COVID-19.
٢٠. في ٢٥ مارس ٢٠٢٠ كانت وفيات الوباء في إيطاليا الأعلى في العالم.
٢١. القرى: ما يقدم للضيف.
٢٢. استعمال أجهزة كهربائية للكشف عن الحمى في المسافرين من بعد.
٢٣. تكتمت إيران في البداية على انتشار كورونا وعدد الوفيات عندها.
٢٤. أول حالة كورونا في قطر ٢٠٢٠/٢/٢٨ لقطري راجع من إيران.
٢٥. الجيران: المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة والبحرين الذين فرضوا حصارًا على دولة قطر لخلافات سياسية.

٢٦. الناكرون: أنكر الأمريكان على لسان رئيسهم أهمية الوباء في بداية الأمر، ولم يتخذوا خطوات وقائية.
٢٧. أرسلت الصين أجهزة ومعدات لأوروبا والولايات المتحدة كما أرسلت أطباء لإيطاليا لمكافحة الوباء.
٢٨. دُنا: جمع دنيا.
٢٩. لقد مُنعت التجمعات، بما في ذلك الصلاة في المساجد لمنع العدوى، فافتقد الناس صلاة التراويح في رمضان.
٣٠. الحنق: الغضب.
٣١. ينذر إصابة الأطفال بكورونا، وإذا أصابهم فلا يصيبهم بشدة. ففي إيطاليا شكل الأطفال المصابون بكورونا ١% من المصابين، دون أي وفيات فيهم.
٣٢. كورونا تسبب تلفاً في الخصية إن أصابتها.
٣٣. الحية السوداء: حبة البركة.
٣٤. المين: الكذب.
٣٥. لم يُكتشف علاج ناجع لهذا الفيروس حتى كتابة هذه القصيدة.
٣٦. الكاشحون: الأعداء المبطنون العداوة.